المحاضرة 08: المقاومات الشعبية الجزائرية في القرن 19 م.

هدف المحاضرة : رفض الجزائريين للإحتلال الفرنسي وظهور ردود فعل قوية في مناطق وأزمنة مختلفة .

تمهيد :

شهدت الجزائر بداية القرن19 م تحولات سياسية أثرت على جميع ميادين الحياة بسبب إنهاء الحكم العثماني من جهة وتعرضها للاحتلال الفرنسي من جهة أخرى، إنه أبشع استعمار تعرضت له دولة عربية إسلامية في القرن التاسع عشر الميلادي ، وتعد 1827 م نقطة تحول في تاريخ الجزائر باعتبارها السنة التي اختارتها فرنسا إعلان عدائها على الجزائر وإقامة حصار بحري على طول السواحل ، متخذة من حادثة المروحة سببا في ذلك، كما حققت فرنسا عدة انتصارات من خلال حملاتها ضد الجزائر، وخاصة بعدما أجبرت الداي حسين على توقيع معاهدة الاستسلام في 5 جويلية 1830م، وعلى الرغم من قوة فرنسا وهزائمها ضد الجزائر إلا أن الجزائريين رفضوا الاستسلام ، ومن بين الرجال الذين ثاروا ضد الاستعمار نجد الأمير عبد القادر الذي مهد لظهور ما يسمى بالمقاومات الشعبية التي جاءت كرد فعل طبيعي لمواجهة العدو الفرنسي ورفضه رفضا قطعيا .

واجه الجزائريون الاحتلال الفرنسي الذي تحول بحكم الغزو إلى استعمار بالمقاومة التي انتقلت بدورها من مقاومة رسمية عند بداية الاحتلال، إلى مقاومة شعبية اتصفت بعدة خصائص ومميزات ومنها استمراريتها وتواصلها الزماني والمكاني إذا توسعت وانتشرت في كل انحاء البلاد.

1/ مفهوم المقاومة:

إن المقاومة هي كل ردة فعل عفوية قام بها الشعب الجزائري لمواجهة العناصر الدخيلة، ورفض تقبلها وهي التصدي للاعتداءات التي تقوم بها الأطراف خارجية، وما دام الجزائريون لم يستجيبوا للأمر الواقع المفروض عليهم، فهم ما بين عام1830 حتى عام 1962في مقاومة جاء في موسوعة السياسية، المقاومة بالمعنى السياسي تعني الوقوف في وجه الاعتداء، سواء كان مصدره قوة أجنبية غازية، أو قوة داخلية مستبدة، من المعلوم أن الجزائر قاومت كل دخيل، ولم يستطع أي من الدخلاء أن يثبت

أقدامه، ويفرض وجوده بقوته العسكرية، إلا أن مقاومتها للاحتلال الفرنسي كانت أشد وأشرس وأطول وأعنف

وتعني المقاومة أيضا بأنها رد فعل أولي اتجاه الأعمال الوحشية للغزاة والتي وصفها مؤرخ فرنسي بقوله" ولم تعرف مدينة في العالم ما عرفته مدينة الجزائر من الفوضى يوم اجتاحتها القوات الفرنسية

ومن خلال الدراسات التاريخية، يتضح بأن الثورات الشعبية ابتداء 1830م، هي رد فعل وطني ومشروع مستمر ومتنوع، حسب الظروف المحيطة به ضد فعل استعمار مستمر وغير قانوني.

2- أسبابها ودوافعها :

لقد اندفع لهيب المقاومة الشعبية المسلحة منذ الوهلة الأولى التي وطأت أقدام الغزاة الاستعمار الفرنسي أرض الجزائر فما أن أنهار الحكم المركزي في مدينة الجزائر، حتى أخذ شيوخ القبائل والزوايا من الأعيان والعلماء على عاتقهم مهمة صفوف الشعب الجزائري، وتتخذ همه للذود عن أرضه وعرضه ودينه، فكان لهذا التحرك مفعول في تنظيم الكفاح، وعبر الشعب الجزائري عن رفضه للاستعمار بأشكاله المختلفة بالانتفاضات والثورات والجهاد، وقد مست هذه الثورات والانتفاضات كل جهات الوطن، فالمرجعية الوطنية والدينية هي التي حركت المقاومة الشعبية وكانت بالتالي الأسباب العامة المشتركة لهذه الثورات... فالعلاقة الكامنة بين العامة الشعب وإدارة الاستعمار هي التي أدت إلى وقوع هذه المقاومة الشعبية... أمام هذه الأسباب هناك دوافع محلية خاصة أدت إلى اندلاع هذه الثروات والانتفاضات في أقاليم معينة وفي فترة محددة، وبتالي فإن أي ثورة أو مقاومة شعبية تشترك في الأساليب العامة ولها دوافع محلية خاصة بها.

إذا تركزت الكتابات التاريخية في تفسير أسباب حدوث هذه الثورات على الجوانب الاقتصادية والاجتماعية، من فقر ومجاعة، ومصادرة...، بينما ترى الكتابات التاريخية الجزائرية بأن العامل الوطني والحضاري الوطني أهم وأساسي ولا تلغي وجود الأسباب الأخرى الاقتصادية والاجتماعية ويمكن وصف مجمل الأسباب والدوافع إلى أدت الى ظهور هذه المقاومات الشعبية إلى ما يلي:

*الوجود الاستعماري رفض الشعب الجزائري للسياسة الاستعمارية.

*طبيعة الاستعمار الفرنسي المبنية على سياسة الاستيطان والتنصير وفرض القوانين الاستثنائية ضد المسلمين من الجزائريين.

* الحالة العامة للجزائريين سوء الأحوال الاقتصادية والاجتماعية أدى إلى تحضيرهم وتهيئهم للثورة والانتفاضة

– مكانة قادة المقاومات (أحمد باي، الأمير عبد القادر، المقراني.....وغيرهم)، اصحاب علم، دين وجاه وسيف، وبالمثل الشيخ بوعمامة الذي كان مدرسا وأعضاء وذا مكانة عند القبائل الصحراوية وشيوخها، وهذا ما أقلق السلطات الاستعمارية.

– اعتماد فرنسا على سياسة تفكيك البنية الاجتماعية وتحطيم العائلات الكبرى وهذا ما أدى إلى وقوع اصطدام بينها ومصالح هذه العائلات.

– اعتبار بأن "الثورة" هي الحل الوحيد للخروج من المشاكل وتصفية الحسابات مع السلطات الاستعمارية، وهو ما حصل مع الباشا أغا المقراني.

– يمكن اعتبار سقوط الحكم الملكي في فرنسا عاملا تشجع سكان واحة لعمري على الثورة ضد الاستعمار الفرنسيوغزو فرنسا لتونس في 1881 من بين الأسباب الخارجية التي أثرت في وقوع المقاومات واستمرارها في الجزائر.

– الإطار العام للمقاومات الشعبية الجزائرية:

لقد تخصصت عدة كتابات هامة حول عموم الثورات الشعبية التي شهدتها الجزائر بنوع من التصنيف في الوصف والتحليلوتناول أخرون مواضع البحث في مقاومة شعبية واحدة بمنطقة جغرافية محددة مثل ثورة المقراني، ثورة بوعمامة في الصحراء.

بعد الاحتلال مدينة الجزائر ظن الجنود الفرنسيون بأنهم استولوا على البلاد وأن عملية الاحتلال لا تعدوا أن تكون سوى نزهة عسكرية لجيشهملكن سرعان ما اصطدم الجيش الفرنسي برد فعل قوي من طرف الشعب الجزائري من خلال المقاومة الشعبيةيلجأ المستعمر إلى رد فعل قوي دموي مبني على تقتيل وتدبير تنفيذ الأهداف الاستراتيجية وتأديب القبائل الثائرة في 26 نوفمبر 1830، فقدت الحامية الفرنسية في مدينة البليدة مذبحة رهيبة ضد السكان، كما أبيدت عدة قبائل وأحرقت بالكامل أهلها وحيواناتها ولقد تعددت أساليب حرب الابادة والتمثيل الجماعي، والتي نصت بأمر من الجنرال "**كافيناك**" ومجزرة قبيلة أولاد رياح جنوب تنس تحت أوامر العقيد "**بيليسي**"ومن أجل التحكم في

الوضع، أصدرت الادارة الاستعمارية الفرنسية موازية مع سياستها في قهر وإبادة الشعب الجزائري، سلسلة من المراسيم، والقوانين الإستثنائية .

ومنها قرار "كلوزيل" الصادر في 07 سبتمبر 1830م، القاضي بمصادرة الأوقاف وأملاك الأعيان والدولة العثمانيةوقانون انشاء المكاتب العربيةومرسوم 31 جويلية 1845 القاضي بالسماح للعسكرين بحجز الأراضي الزراعية في حالة حدوث أي نشاط عدواني ضد فرنسا والقرار المتبني الصادر 22 أفريل 1863، ومرسوم كريميو 1870، الذي كان يقضي بمنح المواطنة الفرنسية لكل يهود الجزائر وبصفة إلزامية، ومرسوم إنشاء المحاكم الزجرية 1902 وقانون التجنيد الاجباري الصادر03 فبراير 1912م.

رغم السياسة الاستعمارية المبينة على الادارة الجماعية والقهر والاستيطان، صمد الجزائريون في مواجهتهم للاستعمار، واستمرت المقاومات الشعبية عبر مناطق وأقاليم الجزائر.

كما يوضح الجدول التالي الإطار العام للمقاومات الشعبية الجزائرية (1830- 1916) واستمراريتها.

المقاومة	إطارها الزمني	المناطق	القيادة
مقاومة الأمير عبد القادر	22 نوفمبر 1832 إلى 23 ديسمبر 1847	التيطري، سبدو، الزيبان، بسكرة، الصحراء، مليانة، برج حمزة معسكر، تلمسان	الأمير عبد القادر الطريقة القادرية
مقاومة أحمد باي	1830 إلى م1848	قسنطينة، بايلك الشرق	أحمد باي
مقاومة بومعزة	1848 إلى م 1849	الظهرة، الونشريس، مستغانم، الحضنة، أولاد رياح	مُحَمَّد بن عبد الله الملقب بومعزة
مقاومة الزعاطشة	1848 إلى 1849	الأوراس، الزيبان، الزعاطشة، بسكرة، بوسعادة	مُحَمَّد بوزيان الشريف بوعمار
الاغواط وتوغرت	04 ديسمبر 1852 إلى 29 نوفمبر 1854	الأغواط، توقرت، تيارت، غرداية	الشريف مُحَمَّد بن عبد الله بن سليمان
مقاومة القبائل	1851 إلى 1857	منطقة القبائل، بجاية، تيزيوزو، البويرة، بومرداس، بني عيسى، آيت تاوريرت	لالا فاطمة نسومر، الشريف بوبغلة
مقاومة الأوراس	1858	منطقة القبائل، الوادي الكبير، خنشلة، عين البيضاء، بسكرة	مُحَمَّد بن عبد الله
ثورة بني سناسن	1859	بني سناسن، الغزوات، تلمسان	/
ثورة أولاد سيدي الشيخ	1864 إلى1880	واحة البيض سيدي الشيخ، جبل عمور،	سليمان بن حمزة معمر بن الشيخ بن الطيب .

		سور الغزلان، تيارت، فرند، سعيدة	زاوية أولاد سيدي الشيخ
ثورة جنود الصبايحية	جانفي 1871	سوق أهراس ، القالة	/
ثورة اولاد عبدون	14 فبراير 1871	قبيلة أولاد عبدون، الميلية	/
مقاومة المقراني والشيخ الحداد	مارس 1871 إلى 20 جانفي 1872	برج بوعريريج، العلمن، سطيف، البويرة، تيزي وزو، بجاية، بومرداس	المقراني، الشيخ حداد، بوزراق، الزاوية الرحمانية
مقاومة العمري	مارس أفريل 1876	واحة العمري، الزيبان، قبيلة بوعزريد	الشيخ مُحَّد بن يحي بن عياش
ثورة الأوراس	ماي 1876 إلى جوان 1879	الاوراس، أولاد تالة، أولاد داود، بني بوسليمان، خنشلة، عين البيضاء بسكرة	أحمد أمزيان بن عبد الرحمان
مقاومة بوعمامة	أفريل 1881 إلى ماي 1904م	عين الصفراء تيارت، فرندة، السعيدة، عين صالح، توات، قوزارة، كرزازة	مُحَّد بن العربي بن تاج السنوسية، الطيبية الكرزازية
انتفاضة مسيردة	1890	مسيردة، مغنية، تلمسان، لعشاش، جبانة، ندرومة، سواحلية، الغزوات	الشيخ الخيضر مُحَّد
ثورة عين التركي	1901	مليانة، شرشال، تيبازة، البليدة، الحجود، تنس	يعقوب بن الحاج
انتفاضة باتنة	1902	باتنة خنشلة، بسكرة،	الشيخ عبد السلام

	بريكة، سطيف مروانة، ميزاب		
انتفاضة عين بسام	عين بسام	1906	/
ثورة بن شقران	بني شقرون، باريفو (المحمدية)، معسكر، هاشيم	1914	الشيخ بن علي النوي
مقاومة الصحراء	ميزاب، ورقلة، القطار، الهقار، جانيت، تيندوف	منذ 1906 إلى فيبراير 1919	أحمد سلطان الشيخ عبد السلام
انتفاضة الأوراس	عين مليلة، باتنة، عين فكرون	1916	بن علي بن نوي

المصدر: العربي منور، تاريخ المقاومة الجزائرية في القرن 19، ص ص 44 – 46.

– خصائص ومميزات المقاومات الشعبية (1830– 1916) في الجزائر.

كانت المقاومة الشعبية تنطلق بعد تزكية شعبية جماعية، عن طريق البيعة، كأسلوب ديني جماعي علني، وفي كثير من الأحيان، تحت تأطير الزاوية الدينية.

كان مجال المقاومة الشعبية هو الريف، مجسدا في القبيلة أو تجمع قبائل العشيرة، ومجوعة قرى، باستثناء مقاومة أحمد باي1837م التي كانت حول مدينة قسنطينة.

إن محفزات الثورة لدى الجزائري كانت دينية ووطنية، فالتمرد والثورة له ضرورة وحتمية لمحاربة المحتل.

اختلفت المقاومات الشعبية في وزنها وقيمتها، وتنوعت إلى ثورات صغيرة أو كبيرة، فكان البعض منها، ثورة منظمة مؤطرة وبأبعاد عسكرية، اقتصادية واجتماعية وسياسية (الأمير عبد القادر، أحمد باي ،الشيخ بوعمامة ...) وتميزت بقوتها ومراحلها العسكرية وابعادها الاستراتيجية.

واجب :

صمد الجزائريون في مواجهتهم للاستعمار، واستمرت المقاومات الشعبية عبر مناطق وأقاليم الجزائر، علق

؟